



التسلسل العام للدروس (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

📖 قال المؤلف - رحمه الله - : «بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ»:

وَقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨].

وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥].

قوله: «بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ»: لما ذكر المصنف - رحمه الله - في الأبواب السابقة: أولاً: وجوب التوحيد، ثم فضل التوحيد، ثم ذكر بعد ذلك تحقيق التوحيد ناسب أن يذكر أن الإنسان لا يطمئن إلى هذا الأمر بل لا بد أن يخاف من ضد ذلك وهو الشرك بالله ﷻ، فناسب أن يذكر هذا الباب بعد الأبواب السابقة فقال: «بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ»: أي وجوب الخوف من الشرك.

ويدل على ذلك: أن الله ﷻ ذكر عن أينا إبراهيم عليه السلام أنه قال: {وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥] فهذا دليل على أنه يجب على الإنسان أن يخاف من الشرك، والنبي ﷺ قال: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ» فهو دليل على أنه مخيف للمؤمن.

ويقول ابن أبي مليكة - رحمه الله - : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف على نفسه من النفاق.

وقال بعض السلف: من لم يخف على نفسه من النفاق فهو من المنافقين.

ويقول ابن مهدي - رحمه الله - : بات عندي سفيان - رحمه الله - فبكي. فقلت: سبحان الله تبكي وأنت أنت؟ أي أنت أمير الحديث، أو قال بعض الحاضرين ذلك، فقال: والله ما أبكي لكثرة ذنوبي وإنما ذنوبي هي كمثل هذه، فأخذ شيئاً من التراب ثم تركه، وإنما أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت. أي أنه يخاف أن يفارق الإيمان، وذلك لا يكون إلا عند الموت.

فهذه المصيبة أن الإنسان يعمل ثم بعد ذلك عند الموت يقع في الشرك أو الكفر.

فجاء المصنف - رحمه الله - بهذا الباب ليبين عظم هذه المسألة وهي الخوف من الشرك.

قوله: «بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ»: أي وجوب الخوف من الشرك.

وضابط الخوف من الشرك، أو ضابط الخوف من الله ﷻ نقول: هو كل ما يحجزك عن المعاصي والذنوب ويحثك على الطاعات فإننا نقول: أن هذا خوف من الله سبحانه وتعالى.

وكماله هو ما يجعلك تشمر إلى فعل الطاعات من النوافل.

قوله: «بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ»: أي الأنواع من الشرك؟



الجواب: نقول: الشرك الأكبر والشرك الأصغر، كل ذلك داخل.

ثم استدل المصنف - رحمه الله - بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨].

قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}: ليبين عظم هذه المسألة وأن الشرك أمره عظيم، فهو لا يغفر لمن مات على الشرك.

قوله: {أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}: أن ما دخل عليها تؤول بمصدر فيكون المعنى إن الله لا يغفر إشراكاً به فيشمل الشرك الأكبر والأصغر.

قوله: {مَا دُونَ} يحتمل:

- أي ما أقل من الشرك. والمراد بذلك كبائر الذنوب.
- أو يقال: أي ما سوى الشرك من الذنوب.

قوله: {لِمَنْ يَشَاءُ}: وعلى ذلك نقول: أن هذه الآية تعد من الآيات المحكمة العظيمة التي تبين: أولاً: خطورة الشرك.

ثانياً: أن الله وَعَلَىٰ رَحِيمٍ بعباده، فكل ذنب دون الشرك فهو تحت المشيئة.

ثالثاً: أن الشرك لا يغفر، لذلك عد بعض العلماء هذه الآية هي أرجى آية، وبعضهم قال: أرجى آية: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ} [الزمر: ٥٣]، ومنهم من يعد هذه الآية هي أرجى آية؛ لأن الله وَعَلَىٰ رَحِيمٍ ذكر {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}

والناس تجاه الذنوب على أقسام:

القسم الأول: من ذنوبه بلغت به الكفر، فهذا لا وزن له عند الله وَعَلَىٰ رَحِيمٍ، فإنه يكون من الكافرين في الدنيا وفي الآخرة يكون من أهل النار.

القسم الثاني: من عنده حسنات وسيئات، وهذا فيه تفصيل:

- من كانت حسناته أكثر من سيئاته، فإننا نقول: أن ماله يكون إلى الجنة.

- من تكون سيئاته أكثر من حسناته فهذا ماله إن جوزي على ذلك يكون إلى النار.

- من استوت حسناته وسيئاته وهم أهل الأعراف، نقول: ويكون مآلهم إلى الجنة.

وهنا ترد مسألة وهي مسألة: الموازنة بين الحسنات والسيئات، وهذه المسألة الكلام فيها طويل، فقد تكلم على هذه المسألة

ابن القيم - رحمه الله - في "مدارج السالكين" و"طريق الهجرتين" وغير ذلك، وللأسف فيها أقوال.

هذه الآية نقول: أن فيها رد على ثلاث طوائف:

قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}: رد على من يقول: إن الله يغفر كل الذنوب كالمرجئة.



قوله: { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ } : رد على الخوارج، الذين قالوا: بأن الله لا يغفر كبائر الذنوب، وأيضاً رد على المعتزلة. وقوله: { لِمَنْ يَشَاءُ } : رد أيضاً على المرجئة، المرجئة يقولون: يغفر الله لكل أحد، والله عَجَبٌ يَقُولُ: { لِمَنْ يَشَاءُ }، وأيضاً فيه رد ثان على المرجئة أنهم يقولون: بأن الله عَجَبٌ قد يغفر لكل الناس، وقد يعاقب كل الناس؛ لأن الثواب والعقاب مربوط بالمشيئة المحضة، وليس هناك موازنة، وهذه الطائفة تسمى بالمرجئة الواقفة، أما أهل السنة والجماعة يقولون: بإثبات الموازنة وأن الله عَجَبٌ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

قوله: وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم: ٣٥].

قوله: { وَاجْتَنِبِي } : أي اجعلي في جانب وعبادة الأصنام في جانب، أي أبتعد عنها لا أقرها لا بقولي ولا بفعلي، ولا بقلبي.

قوله: { أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } : أي عبادة الأصنام، أي أن تصرف العبادة لهذه الأصنام من صلاة أو صيام، أو نذر، أو نحر، أو غير ذلك.

📖 قال المؤلف - رحمه الله - : وَفِي الْحَدِيثِ: [أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: الرِّيَاءُ].

قوله: « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ » يخاطب من؟

الجواب: يخاطب الصحابة، وهذا دليل على أن الشرك الأصغر أكثر مما يقع من الصالحين، فلذلك خافه النبي ﷺ على الصحابة، وكل من سلك طريق الصحابة فإنه يخاف عليه من الشرك الأصغر. ولكن ما هو الشرك الأصغر؟

الجواب: نقول: الشرك الأصغر هو كل وسيلة إلى الشرك الأكبر ولم يبلغ رتبة العبادة.

والنبي ﷺ سئل عن الشرك الأصغر فعرفه بماذا؟ عرفه بمثل فقال: « الرِّيَاءُ » دليل على ماذا؟

الجواب: دليل على أن الشرك الأصغر صورته كثيرة، لذلك ابن القيم - رحمه الله - حينما تكلم عن الشرك الأصغر قال: هو البحر الذي لا ساحل له. لأن صور الرياء كثيرة: منها ما هو خفي، ومنها ما هو جلي، ومنها ما هو كبير، ومنها ما هو صغير أو أصغر.

ضابط الشرك الأكبر والأصغر:

أولاً: الشرك الأكبر ضابطه سهل ويسير وهو أننا نقول: صرف العبادة لغير الله شرك أكبر.

مثاله: كالدبح، والنحر، أو الدعاء، أو غير ذلك لغير الله عَجَبٌ، هذا سهل.

أما الشرك الأصغر فإن له ضوابط لكثرة أنواعه، وغالب هذه الضوابط نقول: أنها ضوابط أغلبية:

الضابط الأول: كل ما ورد في الشرع أنه شرك أصغر؛ كالرياء. أي أن باب الرياء في الأغلب يكون من الشرك الأصغر، وذلك إذا كان يسير الرياء، وعليه نقول: أن يسير الرياء يعد من جملة الشرك الأصغر.



الضابط الثاني: كل ما جاء لفظ الشرك أو الكفر في الشرع منكر غير معرف.

مثاله: قال النبي ﷺ: **[من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك]**.

الضابط الثالث: كل ما نص الصحابة على أنه شرك أصغر.

الضابط الرابع: ما يكون في الألفاظ، في الأغلب أن الشرك الأصغر بابه في الألفاظ كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان. وغير ذلك.

الضابط الخامس: ما كان في الأسباب، فالشرك الأصغر غالبًا ما يكون في الأسباب، وذلك من ضابطين:

١. هو من اختراع سببًا جديدًا لم يكن صحيحًا، فكل من أثبت السبب ولم يكن سببًا واعتقد أنه سبب فإننا نقول: أنه يعد من جملة الشرك الأصغر.

مثال ذلك: التمام، كأن يضع الإنسان على رقبته أو يده شيئًا من التمام نقول: أنه شرك أصغر، لماذا؟

الجواب: لأن هذا السبب لم يكن سببًا حقيقيًا؛ وإنما هو سبب وهمي.

٢. كل من عظم السبب الحقيقي فإننا نقول: أن هذا يعد من جملة الشرك الأصغر؛ فمن عظم مسئولًا من أمير أو وزير

أو تاجر أو غيره؛ فإننا نقول: أن هذا التعظيم قد يوصل الإنسان إلى الشرك الأصغر، والضابط أنه إذا ترك الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه هذا الرجل فإننا نقول: أنه دليل على تعظيمه إن لم يكن هناك خوف فهذا أمر آخر،

فشخص لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر يقول: خشية أن هذا المسئول يقطع رزقي. نقول: هذا المسئول هو

سبب من الأسباب في جلب الرزق، ولكن تعظيم هذه المسألة فإننا نقول: إنه يوصل الإنسان إلى الشرك الأصغر.

هذه الضوابط التي ذكرناها تسمى ضوابط الشرك الأصغر، وهي ضوابط أغلبية، وليست ضوابط كلية.

قوله: **« فُسِّلَ عَنْهُ فَقَالَ: الرِّيَاءُ »**، هل الرياء شرك أصغر؟

الجواب: نقول: المراد بذلك يسير الرياء، أو أن يقال: باب الرياء. الأصل أنه من المؤمن إنما يقع في مسألة الشرك الأصغر،

ولكنه قد يقع الرياء شرك أكبر، كيف؟ من يراني في أصول الإسلام، حينما أراد أن يقول: لا إله إلا الله راءى، ويريد

المراءة أو لا يصلي إلا لأجل الرؤية، فإننا نقول: أن من راءى فإنه يعد من المنافقين.

ثانيًا: من كثر رباؤه بحيث أنه لا يخلو عمل من الأعمال إلا فيه رياء فإننا نقول: أنه يكون من المنافقين. أما الأصل أن

الرياء إذا وقع من المؤمن فإننا نقول: إنما هو من باب يسير الرياء وهو الشرك الأصغر، وسيأتي - إن شاء الله - أن مسألة

الرياء أو العمل من أجل الناس على أنواع أربعة، نتكلم على ذلك في بابه لأن هناك بابًا يقال له: باب الرياء، أو ما جاء

في الرياء.

قال المؤلف - رحمه الله - : **وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [مَنْ مَاتَ وَهُوَ**

يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قوله: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو»** ما المراد بالدعاء؟ هل هو دعاء العبادة أو دعاء المسألة؟



الجواب: نقول: يحتمل أنه دعاء العبادة ويحتمل أنه دعاء المسألة، والقاعدة هي أن نقول: "أن التفسير إذا احتمل اللفظين أو المعنيين فكلاهما صحيح فإننا نحمل اللفظ على المعنيين"، فنقول: أن معنى قول النبي: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو»: إما دعاء المسألة وإما دعاء العبادة، كيف دعاء المسألة؟

الجواب: كمن يأتي إلى قبر أو صنم، أو شجرة، أو معظم فيدعوه من دون الله ﷻ؛ فيقول: يا فلان أنقذني، أعطني، ارزقني، أدخلني الجنة، اغفر لي وغير ذلك مما يقع من عباد القبور.

النوع الثاني: دعاء العبادة؛ كمن يطوف على قبر تقرباً إليه، أو يذبح له، أو ينذر له، فإننا نقول: أن هذه تسمى عبادة أو دعاء عبادة، ومعنى قول النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو» أي دعاء عبادة ودعاء مسألة.

قوله: «مَنْ دُونَ اللَّهِ نِدَاءً»: أي مثيلاً أو كفوفاً بزعمه، النتيجة أنه «دَخَلَ النَّارَ»، هل الدخول هذا دخول مؤبد؟

الجواب: نعم نقول: أن من وقع منه الشرك الأكبر فإن دخوله يكون دخولاً تأييدياً لا يخرج منه { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: ٤٨].

وعلى هذا نقول: أن دعاء غير الله ﷻ على أنواع:

النوع الأول: أن يدعو الميت دعاء مباشراً ويعتقد أنه هو النافع والضار من دون الله ﷻ، كأن يقول: يا فلان اغفر لي، ارحمني، ارزقني وغير ذلك.

النوع الثاني: أن يدعو الميت ولكن يجعله شافعاً له، يرفع حاجته كأن يقول: يا فلان ادع الله لي، يا فلان اشفع لي عند الله.

وسبق الكلام على هذا المسألة وذكرنا التفصيل والخلاف فيها.

النوع الثالث: أن يسأل أن يدعو الله بجاه فلان من الناس، بجاه الولي، فإننا نقول: أن هذا يعد من جملة الشرك الأصغر.

قال المؤلف - رحمه الله -: وَلِمُسْلِمٍ عَنِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ النَّارَ].

قوله: « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ »: أي من مات؛ لأن كل من مات فهو ملاقٍ لله ﷻ.

قوله: « لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » شيئاً نكرة: أي الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ لأن النكرة تعم.

قوله: « دَخَلَ الْجَنَّةَ »: أي ماله أن يكون من أهل الجنة، ولكن هل هذا الدخول يسبقه عذاب كمن يكون من أهل الكبائر أو أن الله ﷻ يغفر لمن جاء بالتوحيد؟

الجواب: نقول: من لم يشرك بالله شيئاً فإن الله ﷻ يغفر له جميع الذنوب كما سيأتي.

قوله: « وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »: اختلف العلماء في هذه الجملة هل هي من قول النبي ﷺ أو من قول جابر؟.

- والأظهر أنها من قول النبي ﷻ، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ قال: [ألا أدلكم على] أو [ما هي الموجبتان] فذكر

النبي ﷺ من لقي الله يشرك به شيئاً، ومن لقيه لا يشرك به شيئاً.



- وقال بعض العلماء: هذه الجملة موقوفة على جابر لأنه قال: «وقلت أنا».

قوله: « وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ النَّارَ »: «شَيْئًا» نكرة تشمل الشرك الأكبر و الشرك الأصغر.

وهنا ترد مسألة وهي: مسألة الشرك الأصغر هل يغفر أو لا يغفر؟ وسبق الكلام، وهو أن في المسألة خلاف بين أهل العلم، والأظهر والأقرب أنا نقول: أن الشرك الأصغر يكون تحت المشيئة.

📖 قال المؤلف - رحمه الله - : (٤) بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [يوسف: ١٠٨].

قوله: « بَابُ الدُّعَاءِ »: أي الدعوة.

قوله: « إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »: ومناسبة هذا الباب لما قبله واضحة؛ فالمصنف - رحمه الله - لما ذكر وجوب

التوحيد وفضله، وتحقيقه، والخوف من ضده ناسب أن ينبه القارئ أو السامع أنه لا يقتصر على نفسه بهذا التوحيد بل يدعو إلى هذا التوحيد، ويبين للناس هذا الطريق الحق وهو طريق التوحيد.

قوله: «بَابُ الدُّعَاءِ»: الدعاء المراد به الدعوة، والدعوة نقول: هي جذب الناس إلى الإسلام بالقول، أو العمل، والدعوة

إلى التوحيد أو الدعوة إلى الإسلام هي من أفضل الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} [فصلت: ٣٣].

الجواب: لا أحسن، وهي وظيفة الأنبياء، الأنبياء وظيفتهم إنما هي الدعوة إلى الله ﷻ، والله ﷻ قال للنبي ﷺ: {يَا أَيُّهَا

الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: ١، ٢] هذا في النهار أنه ينذر، ثم قال له في الليل: {يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا

قَلِيلًا} [المزمل: ١، ٢]، فله ورد في النهار وهي الدعوة إلى الله ﷻ، وفي الليل له ورد آخر وهو التبعد إلى الله ﷻ لقوله:

{يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: ١، ٢].

والدعوة نقول: أنها تعد من الأمور الواجبة، أو العبادات الواجبة التي أوجبها الشارع، بقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو

إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: ١٠٨]، والنبي ﷺ قال: [من رأى منكم منكراً فليغيره]، وهذا كله من

باب الدعوة.

والدعوة نقول: أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: دعوة هداية: وهي دعوة الكافرين.

القسم الأول: دعوة إصلاح، وهي دعوة المسلمين إلى أن يصلحوا ما عندهم من إيمان ويتركوا المحرمات، ولها آداب

وشروط، وهي أي الدعوة باب مفتوح لا يختص بأحد ولا يستثنى منه أحد في الدعوة وكل وسيلة تخدم هذا الدين ليست

محرمة فإننا نقول: ينبغي لنا أن نستخدمها، وخاصة في هذا الوقت، فوسائل الدعوة كثيرة وكبيرة، فينبغي للإنسان أن

يستغل كل وسيلة تفتح له في باب الدعوة وهي ليس فيها مخالفة شرعية فإننا نقول: أنه من حقه أن يدعو بها إلى هذا

الدين.



مثال ذلك: الانترنت، والقنوات الفضائية، والقنوات المسموعة، والجوال، والصحف وغير ذلك ينبغي للإنسان أن يستخدم هذه الوسائل في الدعوة إلى الله ﷻ.

قوله: «بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: وأنه واجب العلماء وكل من يعلم مسألة فإنه يدعو بها، النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية» فهذا دليل على أن الدعوة لا تقتصر على العلماء فقط بل على العلماء والدعاة، كل من يحفظ آية، كل من يفهم آية، كل من يحفظ حديثاً، من يفهم حديثاً فإننا نقول: أنه يبلغ دين الله ﷻ ولا يتكلم إلا بعلم. لذلك قال المصنف - رحمه الله - : وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي } أي طريقي.

قوله: { أَدْعُو } أي أجدب الناس وأحبب الناس إلى هذا الدين.

قوله: { أَدْعُو إِلَى اللَّهِ } : دليل على أن الداعي ينبغي له أن ينظر إلى قضية الإخلاص، ففي حال دعوتك لا تدعو إلى أشخاص، ولا إلى وطن، ولا إلى أرض، ولا إلى منصب أو مال وإنما تكون الدعوة لله ﷻ، حتى وإن اختلف إنسان معك في قول أو في رأي أو غير ذلك فإنما أنت تدعو إلى الله ﷻ، وهذا فيه إشارة إلى الإخلاص، كذلك في حال الدعوة أنك لا تدعو لشخص معين وإنما تدعو لله ﷻ في هذا الأمر.

قوله: { عَلَى بَصِيرَةٍ } : أي بمعنى على علم تام كأني أبصر ذلك الأمر.

قوله: { عَلَى } : تدل على الاستعلاء أي بمعنى أني أدعو وأنا متعلم أو عالم بهذه المسألة، فأدعو بالحق لا بالهوى، أدعو بالعلم لا بالجهل.

قوله: { أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي } : أي أنا وأتباعي هذه طريقتنا وهي أننا ندعو إلى الله على بصيرة.

وعلى ذلك نقول: أن وظيفة النبي ﷺ إنما هي الدعوة إلى الله ﷻ، من رسالته حين بعث بالرسالة إلى موته ﷺ فكان يدعو إلى هذا الدين.

قال المؤلف - رحمه الله - : وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: [إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ].

وفي رواية: [إلى أن يوحّدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب] أخرجه.

قوله: «وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ»: وذلك في السنة العاشرة.

قوله: «قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ»: ويصح أن تقول: أول ما تدعوهم إليه.

«شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أو «شهادة أن لا إله إلا الله»: إذا فتحت الأول لا بد من ضم الثاني والعكس كذلك.

لماذا قال له: «قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»؟



الجواب: ليبين أن مخاطبة أهل الكتاب ليست كمخاطبة الجاهلين من الأميين، ومناظرة الشخص الذي يملك كتابًا أو يملك علمًا أو يملك شيئًا ليست كمخاطبة عامة الناس، فكأنه يقول له: استعد لمخاطبة هؤلاء، استعد لمناظرة هؤلاء، استعد لمناقشة هؤلاء، أي لا بد من البيان، لماذا؟

الجواب: نقول: لأن الدعوة إلى الله ﷻ لا بد أن تكون بعلم، فالإنسان الذي يدعو ولكنه يجهل قد يفسد أكثر مما يصلح، فالإنسان لا يدعو إلا بما يعلم.

قوله: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: أي أن الإنسان أول ما يبدأ به هو التوحيد، وتعليم الناس لا إله إلا الله، وتنقيف الناس في هذه المسألة وهي مسألة التوحيد.

قوله: وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ» لماذا جاء المصنف بهذه الرواية؟

الجواب: ليبين لك أن معنى لا إله إلا الله هو توحيد الله، لأن بعض الناس يقول لك: معنى لا إله إلا الله: أي لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا مدبر إلا الله، فالمصنف جاء بهاتين الروايتين لكي يقول لك: أن معنى لا إله إلا الله هي معنى أن يوحدوا الله، أي أفراد الله بالعبادة.

وعلى ذلك نقول:

١. أن أول واجب على الداعي هو أن يدعو إلى التوحيد، كما أن الإنسان إذا أراد أن يدخل في هذا الدين يجب عليه أن يعتقد ويقول: "لا إله إلا الله".

٢. أنه لا يحكم على شخص بأنه مسلم إلا بعد أن يتلفظ بهذه الكلمة، لكن هل يكفي مجرد الاعتقاد؟ شخص بقلبه يعتقد أن الله ﷻ هو الذي يستحق العبادة أو أنه لا بد من التلفظ؟

الجواب: نقول: لا بد من التلفظ، لذلك النبي ﷺ حينما جاء إلى عمه أبي طالب ماذا قال له؟

الجواب: قال: «يا عم قل» يعني تكلم، تلفظ، بهذه المسألة، مع أنه كان يمدح دين النبي ﷺ:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينًا

فكان يمدح ويشني ويعرف أنه هو الحق لكن منعه الكبر.

قال له النبي ﷺ: «يا عم قل» يعني تلفظ، وعلى ذلك قال أهل العلم: لا بد أن الإنسان يقول: لا إله إلا الله حتى يحكم له بالإسلام، والنبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا» وفي رواية: «يشهدوا» يتلفظوا بهذه الجملة وهي "لا إله إلا الله".

قوله: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ» أي أقروا لك بهذه المسألة وهي قول: لا إله إلا الله. فقالوا: لا إله إلا الله وآمنوا بهذه المسألة وهي مسألة "لا إله إلا الله".



قوله: «فَاعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ إِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»: دليل على أن الإنسان في حال الدعوة ينبغي له أن يسلك طريق التدرج في المهم، المهم فالمهم، أول ما يبدأ بـ "لا إله إلا الله" ومعنى هذه الجملة، ثم بعد ذلك يبدأ بالصلاة، ثم يبدأ بعد ذلك بالزكاة، ثم يبدأ بعد ذلك بالصوم، ثم بعد ذلك بالحج، يتدرج في هذه المسائل.

قوله: « فَإِنْ هُمْ أَطَاعُواكَ لِدَلِكِ فَاَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ إِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً»: وهي الزكاة.

قوله: «تُؤَخِّدُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ»: أي من أغنياء ذلك البلد، أو من أغنياء المسلمين.

قوله: «فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»: يحتمل فقراء ذلك البلد، أو يحتمل أنهم فقراء المسلمين فتؤخذ من أغنياء المسلمين فتزد على فقراء المسلمين، وهذه المسألة فقهية يتكلم عنها أهل الفقه، وهي مسألة خلافية هل يجوز نقل الزكاة أو لا؟

قوله: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُواكَ لِدَلِكِ»: أي آمنوا بـ "لا إله إلا الله" والصلاة، والزكاة.

قوله: «فَإِيَّاكَ»: أي احذر.

قوله: «وَكِرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»: جمع كريمة، وهي ما نفُس من مال، لماذا قال النبي لمعاذ «فَإِيَّاكَ وَكِرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»؟

الجواب: لأن أخذ كرائم الأموال أي أنفس الأموال قد يكون فيه ظلم لهؤلاء، لذلك قال النبي ﷺ: «وَأَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ» أي إذا أخذت كرائم الأموال يترتب على ذلك أنك ظلمت فأتق دعوة المظلوم.

قوله: «فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ودعوة المظلوم نقول: أنها مستجابة حتى وإن كان فاجراً، كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه».

قال المؤلف - رحمه الله - : وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: [لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: "أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟" فَقِيلَ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ أَنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ أَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَ اللَّهُ، لِأَنَّ يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ] . (يَدُوكُونَ) أَي يَخُوضُونَ.

قوله: وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: وذلك في السنة السابعة.

قوله: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا»: الراية هي البيرق.

قوله: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا»: أي في اليوم الذي يأتي بعد.

قوله: «رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»: وهذه فيه منقبة عظيمة لهذا الرجل الذي يعطى، وهو دليل على أنه يحب الله ورسوله، وأن الله يحبه هو كذلك ورسوله ﷺ يحبه.



قوله: «يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»: وهذا فيه علامة من علامات النبي ﷺ، لأنه أخبر أنه يفتح أي دليل على أنهم ينتصرون،

قوله: «فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا»: لماذا؟ هل هم يجبون الإمارة؟

الجواب: لا، ولكن لأن فيه منقبة، وهي أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لذلك ورد عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول:

[ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ] أي في يوم خيبر، لماذا؟

الجواب: لأن فيه مزية ومنقبة بأنه من الذين يجبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله.

قوله: «فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ»: أي يتشاورون ويتعلمون ويخوضون في هذه الليلة من هو ذلك الرجل؟ كلهم يتمنى هذا.

قوله: «فَلَمَّا أَصْبَحُوا، عَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا»: لماذا؟

الجواب: حباً في أنه يدخل في هذه المزية وهذا الفضل، لذلك قال أهل العلم: أصح حديث في فضل علي بن أبي طالب

ﷺ هذا الحديث.

قوله: فَقَالَ النبي ﷺ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ»: لأنه أرمد أصابه الرمد.

قوله: «فَارْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأَتِي بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ»: أي نفث في عينيه.

قوله: «وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ»: ولم يشتك ﷺ بعد ذلك أنه رمد أو أصيب بصدا.

قوله: «كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: أَنْفُذْ عَلَيَّ رِسَالِكَ»: أي على هيتك.

قوله: «حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ»: أي تكون بينهم، أي في موقعهم.

قوله: «ثُمَّ أَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ»: أي قبل البداية في القتال لا بد من الدعوة إلى هذا الدين، لماذا؟

الجواب: نقول: لأن الجهاد شرع، لماذا شرع؟ هل هو لإكراه الناس أو لقتل الناس؟

الجواب: لا، شرع للدعوة، أي أن يدعو الإنسان الناس إلى الإسلام، ولذلك عند القتال يبدأ الإنسان بالدعوة.

قوله: «فَوَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا»: الهداية هنا هل هي هداية الكافرين أو هداية الإصلاح؟

الجواب: نحن قلنا قاعدة: أنه إذا كان اللفظ يحتمل معنيين لا تضاد بينهما فالأولى حمل اللفظ على هذين المعنيين. فلذلك

نقول: أنه يشمل، ولكن إذا نظرت إلى سبب هذا الحديث قلت: بأنه خاص بالأول، وعلى ذلك نقول: أيهما أفضل

شخص أسلم على يده رجل أو شخص صلح على يده رجل؟

الجواب: نقول: بلا شك أن من أسلم على يده رجل فهو أفضل ممن صلح على يده رجل.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.